



د. وليد قصاب

إن من ملامح الالتزام الأدبي الإسلامي توافق القول مع العمل، وإن أي انفصام بينهما هو علامة من علامات النفاق. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ (الصف).

وعندما استثنت الآيات الكريمات من الغواية طائفة من الشعراء، وهم شعراء الإيمان؛ كان من علامات هؤلاء الشعراء أنهم ﴿... الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء) أي اقترن قولهم بعملهم. وأما شعراء السفه والغواية فهم يقولون كل ما يخطر في بالهم سواء أكان حقا أم باطلاً، صفتهم الهيمان في كل واد، وانفصال قولهم عن عملهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ (الشعراء)، ولعله انطلاقاً من هذا التصنيف القرآني للشعراء - اهتمت طائفة من النقاد العرب بالحديث عن أخلاق الشعراء ودينهم وأفعالهم، في محاولة للربط بين شخصية الشاعر وشعره، بين فعله وقوله، لتلمس عنصر الصدق الواقعي.

سيرة الشاعر..

كل توتر في الحكم النقدي عليه؟

لا تربط ذلك بشاعريته، ولا تشير إلى تأثيرها في هذه الشاعرية، أو تنتقص منها؛ فهي أقوال نظرية، ولكنها تحذر من أمثال هؤلاء الشعراء حتى لا يُفتر بأقوالهم.

«دعوة الشاعر إلى الصدق»

وأثرت عن النقاد أقوالٌ دعت الشاعر إلى الصدق، وأن يتصف بما يدعو إليه؛ فلا يدعي الكرم وهو بخيل، أو الشجاعة وهو جبان، أو مكارم الأخلاق وهو خسيس الفعال، سيئ الأخلاق حتى يكون في دائرة الصدق الواقعي.

وكانت العرب منذ الجاهلية قد أخذت على المهلهل كذبه، وأنه كان يدعي في شعره، ويتكبر في قوله أكثر من فعله. «وقالوا أكذب بيت قوله:

فلولا الريح أسمع أهل حجر

صليل البيض تفرع بالذكور

وكان منزله على شاطئ الفرات، وحجر هي اليمامة ..» (الموشح: ٩٤-٩٥).

يقول ابن الأثير: «يُستحب للشاعر أن يكون حسن الأخلاق، حلو الشمائل، مأمون الجانب، طلق اليدين. وإلا كان كما قال ابن أبي فتن:

«وان أحق الناس باللوم شاعر»

يلوم على البخل الرجال ويبخل

فإن اتصف بذلك كان أملاً في العيون، وألوط في القلوب»^(٥).

وقال الكلاعي: «ومما يُستحب للكاتب أن يهذب أفعاله كما يهذب أقواله»^(٦).

وينصح ابن قتيبة الكاتب بقوله: «ونحن نستحب لمن قبل عنا، وائتم بنا، أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب..»^(٧).

وقد احتل الحديث عن أخلاق الشعراء، وعقيدتهم، وسلوكهم الاجتماعي حيزاً غير قليل من اهتمام هؤلاء النقاد، وأثرت عنهم آراء كثيرة حول ذلك، وقد أخذت هذه الآراء عدة اتجاهات؛ بعضها نظري، وبعضها تطبيقي.

فمن الجانب النظري نجد:

«التشهير بأصحاب السلوك السيئ»

شهر بعض النقاد بشعراء عُرفوا بالنفاق الاجتماعي، أو السلوك المنحرف، وعُد ذلك من المآخذ على هؤلاء الشعراء، ومن النقائص في شخصيتهم.

أخذ المرزباني على البحري أنه «هجا نحوا من أربعين رئيساً ممن مدحه، منهم خليفتان، وهما المنتصر والمستعين، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القواد، ومن جرى مجراهم من جلة الكتاب والعمال ووجوه القضاء والكبراء، بعد أن مدحهم وأخذ جوائزهم»^(١) وعقب على ذلك قائلاً: «وحاله في ذلك تنبئ عن سوء العهد، وخبث الطوية»^(٢).

وتحدث المظفر العلوي عن نفاق أبي نواس، وقلة وفائه لبني برمك الذين مدحهم ثم ذمهم^(٣).

وتحدث المظفر العلوي كذلك عن عدم وفاء المتنبى لكافور الإخشيدي، حيث وفد عليه «مستمياً، وقدم عليه يُوسعه ثناء ومديحاً، فمن جملة قوله فيه:

قواصد كافور، توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلما وصله كافور بصلاته، وأسرف في بذل أمواله وأعطياته؛ كرّ راجعاً عليه بذمه، نافثاً في فم عرضه قواطل سمه. وقد قال رسول الله ﷺ: حرام على النفس الخبيثة أن تخرج من دار الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها..»^(٤).

إن هذه الأقوال وأمثالها تنتقص من قدر الشاعر، وتعيب شخصيته، وتسفّه سلوكه وأخلاقه، ولكنها



ويشير أبو العلاء إلى ما قيل عن عدم تدين أبي تمام، ويعيب ذلك، فيقول: «وأما أبو تمام فما أمسك من الدين بزمام.. فإن قُذِفَ في النار حبيب، فما تغني المدح ولا التشبيب.. وإن كان حبيب ضيع صلواته، فإنه ضالٌّ بفلواته.. فليت حبيباً قرن بين الصلاتين، فجعلهما كهاتين، كما قال القائل:

قرن الظهر إلى العصر كما

تقرن الحق بالحق الذكر^(٨)

فليتة كان كالجمدي، أو سلك به مسلك عدي، أو كان مذهبه مذهب حاتم؛ فقد كان مثألفاً، ومن الخشية متولها..»^(٩).

كما هاجم أبو العلاء طائفة من الشعراء الذين «لا ينبئ نطق لسانهم عن اعتقادهم»، منهم دعبيل بن علي الخزاعي، قال عنه: «لم يلحقني الشك في أن دعبيل بن علي لم يكن له دين، وكان يتظاهر بالتشيع، وإنما غرضه التكسب..»^(١٠).

إن هذه الأقوال وأمثالها تنطلق من النعي القرآني على من يقولون ما لا يفعلون. وهي كلام نظري صادر عن تصور إسلامي تريد أن يتحقق في القول الصدق الواقعي، ولا شك أن مثل هذا الصدق إذا انطلق منه القائل كان أحظى عند المخاطب، وأدعى للقبول عنده، بل ربما كان أكثر حميمية، وأقرب إلى الدفء، وأبعد له عن النفاق والكذب.

ولكن هذا يبقى كلاماً نقدياً نظرياً، يدفع إليه الورع والحرص على تحقيق قاعدة إيمانية، وهي الصدق، واتساق الشخصية، وتبرئتها من النفاق، ولكنه لا يتخذ معياراً في الحكم النقدي على فنية القول، فالفنية - كما سبق أن ذكرنا - لا تعدد بشخصية القائل، ولا تحفل أن يكون على أية عقيدة أو سلوك أو صفة، إن الحكم على السيرة غير الحكم على الشعر. والحكم على الشخص غير الحكم على النص.

ولذلك فإن بعض أصحاب هذا القول لن يثني على شعر ضعيف وإن كان قائله صالحاً أو ديناً، إنه يجذ - من غير شك - أن يصدر شعر الحق والجمال عن مبدع يتصف بالحق والسيرة الطيبة، أن يكون الشعر صورة عن شخصية قائله كما يقول أصحاب المنهج النفسي، ولكنه إذا لم يتحقق ذلك فليس أمامه للحكم النقدي إلا النص وحده.

إن هذه الأقوال نظرية تدعو الشعراء إلى التزام إيماني صادق، ولكن هذا البحث معني - بصورة أساسية - بآراء النقاد الذين اتخذوا من عقيدة الشاعر، أو خلقه وسلوكه الاجتماعي معياراً في الحكم النقدي التطبيقي عليه.

ولا يتحدث هذا البحث عن آخره النقاد، أو لم يحتجوا بشعره بسبب ما يصدر عنه من قول سفيه يتجافى مع الدين أو الأخلاق، مثل عدم احتجاج أبي عمرو الشيباني بشعر أبي نواس - مع جودته اللفظية - بسبب ما في معانيه من الفحش والسفه.

قال أبو عمرو: «لو لا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفت لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول»^(١١).

وفي رواية: «لو لا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقدار - يعني الخمر - لاحتججنا بشعره؛ لأنه

وسيلة للطعن في فنية شعره ذاته، وللانقاص من شاعريته، فقال الجرجاني عبارة حاسمة تفصل بين الأمرين، قال: «لو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، وكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر. ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزبير وأضرابهما ممن تناول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعاب من أصحابه، بكمأ خرساً، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»^(١٥).

إن عبارة الجرجاني هذه لا تعني إبعاد الدين عن الشعر، ولا تعني الفصل بينهما، أو إلماعاً إلى أنهما نشاطان متنافران، أو أن اتصالهما قد يؤدي إلى إضعاف الشعر أو لئنه كما فهم ذلك بعض الباحثين المعاصرين^(١٦)، ولكنه فصل بين الحكم على الشاعرية وسلوك صاحبها أو عقيدته.

إن الشاعرية موهبة من المواهب، وقد يؤتاها البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ولن تمنعنا عقيدة شاعر أو أخلاقه من الإقرار بموهبته، ومن إنزاله منزله النقدي.

محكم القول لا يخطئ»^(١٧) وكتأخير الأصمعي للسيد الحميري بسبب ما في شعره من معان قبيحة كسب السلف بسبب عقيدته الشيعية.

يقول الأصمعي: «قبحه الله! ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقاته»^(١٨).

وفي رواية: «قاتله الله! ما أطبعه، وأسلكه لسبيل الشعراء! والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقاته أحد»^(١٩).

إن مثل هذه الأقوال هي من صميم النقد، ومن صميم الحكم النقدي، لأنها تحتكم إلى معيار ديني خلقي في الحكم على المعاني وتقديرها، والمعنى هو جزء من جمالية النص.

فأبو نواس مجيد لفظاً، وهو محكم القول، ولكنه يفحش في المعاني فذاك يؤخره.

والسيد الحميري شاعر مطبوع، يجيد صنعة الشعر اللفظية، ولكنه يجنّد ذلك في خدمة معان غير نبيلة، فهو - من وجهة نظر نقدية - جدير أن يؤخر، فالشعر بلفظه ومعناه، والحكم عليه يكون بهما معاً. ولكن هذا البحث كما قلنا لا يبحث في هذا الجانب، بل هو حول سيرة الشعراء، وموقف النقاد منهم، وتأثيرها في أحكامهم.

وقد اتخذ ذلك - كما أشرنا - عدة صور.

«الحكم النقدي لا علاقة له بخلق الشاعر أو دينه.

قد يكون القاضي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتبني وخصومه من أبرز من عرض لهذه القضية، وقال فيها كلاماً حملاً بعضهم على غير وجهه.

اتهم بعضهم المتبني برقة الدين، أو ضعف العقيدة في بعض أبيات شعره، واتخذ من ذلك





كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير التقشف، قليل التتظف..^(٢١).

«حسن السلوك لا يشفع لضعف الشاعرية»

وإذا كان سوء سلوك الشاعر، أو ضعف عقيدته، أو قبح أفعاله وأخلاقه لا يقدر في شاعريته، أو يكون سبباً للانتقاص من موهبته وشعره، فإن الصورة المعاكسة هي كذلك في هذا السياق.

إن حسن السلوك ليس مسوغاً لحسن الشاعرية، وإن دين الشاعر، أو صحة عقيدته، أو جمال أفعاله وأقواله، لا يشفع له أن يحظى عند النقاد، أو يرقى به إلى منزلة فنية أعلى من المنزلة التي يستحقها. من ذلك مثلاً ما قالت طائفة من النقاد عن لبيد ابن ربيعة - رضي الله عنه - الذي كان متديناً عفيفاً صالحاً، ولكن ذلك لا يقدمه عندهم، ولا يبوّئهم منزلة الفحول من الشعراء.

روى الأصمعي عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: «ما أحد أحب إليّ شعراً من لبيد بن ربيعة، لذكره الله - عز وجل - وإسلامه، ولذكره الدين، ولكن شعره رحي بَرَزَ..^(٢٢) أي هو كأنه بزر، ولكنه لم ينضج أو يثمر.

ويتبنّى الأصمعي رأي أستاذه، فيقول لأبي حاتم - وقد سأله عن شعر لبيد: «شعر لبيد كأنه طليسان طبري، يعني أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة»، ويسأله أبو حاتم: «أفحل هو؟ فيقول: ليس بفحل» قال أبو حاتم: وقال لي مرة: «كان رجلاً صالحاً، كأنه ينفي عنه جودة الشعر..^(٢٣).

ومثل ذلك ما قاله حسان بن ثابت - رضي الله عنه - عن شعر عمرو بن العاص: «ما هو شاعر، ولكنه عاقل»..^(٢٤).

وهاهم النقاد يستشهدون بأشعار أهل الجاهلية، وبأشعار فسقة أو فجرة أو يهود، أو نصاري ما دامت جيدة معتبرة، تدعو إلى قيم الحق والخير.

وبين يدي عدد من أقوال النقاد التي تجعل الحكم على شاعرية الشاعر أمراً مستقلاً عن سلوكه وخلقه.

يقول الأصمعي عن أبي الطمحان القيني: «كان شاعراً مجيداً، وكان - مع ذلك - فاسقاً»..^(٢٥).

وكان يقول عن الحطيئة: «كان الحطيئة جشعاً سؤولاً، دنيء النفس، كثير الشر، بخيلاً، قبيح المنظر، رث الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين، وما تشاء في شعر شاعر عيباً إلا وجدته فيه، وقلما نجد ذلك في شعره»..^(٢٦).

وكذا ما قاله أبو عبيدة عن الحطيئة: «كان الحطيئة متين الشعر، وكان دنيء النفس»..^(٢٧).

وجاء في شرح شواهد المغني: كان أبو حية النميري «فصيحاً راجزاً من سكان البصرة، وكان أهوج جباناً، بخيلاً كذاباً»..^(٢٨). وقال الثعالبي عن أبي رياش: «كان باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها.. مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه



ومثل ذلك قول الأصمعي عن أبي دواد الإيادي - وقد سأله عنه أبو حاتم: «صالح، ولم يقل: إنه فعل...»^(٢٥).

وفي موطن المقارنة بين شاعر صالح وشاعر أقل صلاحاً، يقدم الثاني إذا كانت فتيته أعلى، ويؤخر الأول إذا كانت شاعريته ليست على المستوى المطلوب، ولم يشفع لأي منهما في الحكم النقدي سلوكه أو خلقه، أو سيرته.

وهذا ما عبر عنه أبو عمرو بن العلاء وهو يقارن بين لبيد والأعشى مفعماً شأن الأعشى: «شاعر مجيد، كثير الأعاريض والافتتان. وإذا سئل عنه وعن لبيد قال: لبيد رجل صالح، والأعشى رجل شاعر...»^(٢٦).

ومن هذا القبيل تقديم بعض النقاد الأخطل النصراني على صاحبيه المسلمين: الفرزدق وجريـر.

«كان أبو عمرو بن العلاء ويونس وحماد يقدمون الأخطل في الشعر على جرير والفرزدق»^(٢٧).

ولا أحسب أن هناك أي حرج في أي من هذين الموقفين السابقين؛ ذلك أن «الشاعرية» - كما سبق أن أشرنا - لا ترتبط بعقيدة أو سلوك أو خلق، ومن الإنصاف والعدل أن نشيد بفنية القول أياً كان منشئها: صالحاً أم فاسداً، مؤمناً أو كافراً.

كما أن من غير الإنصاف أن نعطي أحداً ما ليس له، أن نلصق به موهبة، أو عبقرية، بسبب دينه أو سلوكه. إن مقولة الجرجاني هنا: «الدين بمعزل عن الشعر» هي الحكم العادل في هذه القضية.

«تأخير الشاعر بسبب سوء سيرته»

ولكن هناك طائفة من النقاد ربطت الحكم النقدي على الشاعر بعقيدته وخلقته، ورأت أن سوء السلوك، ودنيء الفعل، حريان أن يؤخرا الشاعر عن طبقته، وأن يؤثر في الحكم عليه.

ويبدو أن أصحاب هذه الآراء كانوا يدعون الشاعر إلى التزام مثالي، وهو التزام يعتنق فيه القول بالعمل، ويصدق فيه الفعل الكلام.

كان خلق الشاعر السيئ أو رقة دينه، أو قبح فعله، سبباً في تأخيره عند طائفة من النقاد، وقد قدموا عليه - بسبب من ذلك - من هو أكرم فعلاً، وأصح ديناً، وأفضل خلقاً.

ذكر أبو الفرج أن ابن سلام جعل الأحوص وابن قيس الرقيات ونصيلاً وجميلاً طبقة واحدة، ولكنه جعل الأحوص بعد ابن قيس وبعد نصيب، وذلك أن الأحوص - لولا ما وضع نفسه به من دنيء الأخلاق والأفعال - أشد تقدماً منهما عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة، وهو أسمح طبعاً، وأسهل كلاماً، وأصح معنى منهم.. وكان قليل المروءة والدين، هجاء للناس، مأبوناً فيما يروي عنه...»^(٢٨).

وذكر البغدادي عند ترجمته للأحوص أن «الأحوص مقدم عند أهل الحجاز، وأكثر الرواة، لولا أفعاله الدنيئة؛ لأنه أسمحهم طبعاً، وأسلسهم كلاماً.. وكان يشب بفساد المدينة، ويشيع ذلك في الناس...»^(٢٩).

إن الأحوص أجود شعراً، وأسلس قولاً، وأسمح طبعاً من جميع الشعراء المذكورين، ولكن ابن سلام يؤخره في الطبقة عنهم بسبب أفعاله الدنيئة، ورقة دينه، وسوء أخلاقه، وكان يمكن لهذا الشاعر المجيد فنياً أن يكون كذلك مقدماً عند أهل الحجاز لولا صفاته السلوكية المذكورة وقبح سيرته.

ومن هذا القبيل تأخير أبي عمرو بن أبي العلاء الأعشى - مع شاعريته المتميزة - بسبب دناءة نفسه.

يقول أبو عمرو: «هو أشعر القوم، إلا أنه وضعه إلحافه بالسؤال»^(٣٠).



واتكأ عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - على هذا المعيار الديني الخلقي، سيرة الشاعر وأخلاقه - في حكمه بين المشهورين: جرير والفرزدق، فقدم جريراً على صاحبه لما رأى من عفته، ولما عرف عن الفرزدق من قبح الفعال، وقد بلغه أن الفرزدق زنى فتفاه، فقال - بعد أن حدث الناس بفعال كل منهما: «عجباً لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفة بطنه وفرجه»^(٢١).

وأورد أبو عبيدة حجة من قدم جريراً بقوله: «يحتج من قدم جريراً بأنه كان.. وكان ديناً عفيفاً».

ويؤخر الوزير الكاتب أبا الحسن يوسف بن محمد سوء سيرته، ولو حسنت هذه السيرة لذاع أمره واشتهر^(٢٢).

لما بلغ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قول سحيم عبد بني الحساس:

توسدني كفاً وتثني بمعصم

علي، وتحوي رجلها من ورائيا

وقوله:

ولقد تحدر من كريمة بعضهم

عرق على جنب السرير وطيب

هدده بالقتل، قال له: «ويلك! إنك لمقتول»^(٢٤).

فعمر يهدد سحيماً بالقتل لأنه ذكر الفاحشة في شعره: فهو يذيع المنكر، ويزين الفحشاء، ولو ثبت أنه قد فعل هذا الذي يقول لكان له عقاب آخر عند عمر: فهو - السلطان القاضي - يحاسب على القول والفعل.

كان الأحوص يشيب بنساء الأشراف في المدينة، فنهي فلم ينته، فشكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك، فأمر سليمان بضربه مئة، وأن يقيمه على البأس^(٢٥) للناس، ثم يسيره إلى دهلك. وظل منفياً إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فاستأذنه الأحوص في

يقول ابن بسام عنه: «أبو الحسين هذا كان من أسنى نجوم سعدهم، وأسمى هضاب مجدهم، ولولا ما خلا به من معاقرة العُقار، وتمسك بأسبابه من قضاء الأوطار، لملاً ذكره البلاد، وطبق نظمته ونثره الهضاب والوهاد...»^(٢٣).

<< سلوك الشاعر بين القاضي والناقد:

إن السلطان يحاسب الشاعر على القول والعمل، وإن كانت العقوبة في كل منهما مختلفة: فالشاعر الذي ذكر في شعره أنه شرب الخمر، أو أنه زنى، أو أنه قتل، ولكن لم يثبت أنه فعل ذلك لا يقام عليه حدّ الخمر، أو الزنى، أو القتل، ولكنه - عند قاض مسلم - قد يُعَذَّر، أو يتوَعَّد لأنه أشاع الفاحشة، أو زينها، أو حرَّض عليها.

وانطلاقاً من هذه القاعدة درأ بعض الشعراء عن أنفسهم عقوبة الحد، محتجين بأن الشعراء: -بحسب الوصف القرآني لهم - (يقولون ما لا يفعلون).

القدوم، فلما أسمع شيئاً من شعره الماجن أبى رده، وقال: «لا رددته ماكان لي سلطان».

وعندما بلغ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن وائي ميسان قال:

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها

بميسان يُسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت غننتي دهاقين قرية

ورقاصاً تجثو على كل منسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني

ولا تسقني بالأصغر المتثلّم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

تنادمنا في الجوسق المتهدم

قال: «وايم الله إنه ليسوؤني، وقد عزلتك». وقال النعمان: «والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط. وما ذاك الشعر إلا شيء طفع على لساني؛ فصدق عمر أنه قال ولم يفعل، ولكنه عاقبه على القول. قال له: «أظن ذلك، ولكن والله لا تلي لي عملاً ما بقيت وقد قلت ما قلت...»^(٣٦).

إن عمر القاضي السلطان يحاسب الشاعر على قول منحرف، ولو ثبت له أن شرب الخمر، أو فعل ما قال لكان هنالك عقاب يتناسب ونوع الفعل.

ذلك هو سلطان القاضي أو الحاكم، يحاسب على القول والعمل، ولكل عقاب من نوع معين. ولكن الناقد يعتمد على النص، ويحكم على صاحبه من خلاله. الناقد سلطان على النص، وليس له سلطان على الشخص، بل ليس ذلك من مهمته، ولا في مقدوره، وحكمه على أديب ما بأنه ملتزم قائم على ما يقوله لا على ما يفعله، على إبداعه لا على سيرته.

ولو صدرت الحكمة عن فاسق، أو ماجن، أو كافر، أو مجنون، فإنه لا شيء يمنع من أخذها، والإشادة بها، بل تبنيها والدعوة إليها. وإن أرقى أنواع الالتزام عند الأدباء وغيرهم أن يقترن بالقول بالعمل، وأن يصدق الفعل الكلام، ولكن الناقد لا يملك إلا النص الذي بين يديه ■

الهوامش:

- (١) الموشح: ٥١٦.
- (٢) السابق نفسه.
- (٣) نضرة الإغريض: ٣٦٦.
- (٤) السابق، ص: ٣٦٩.
- (٥) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: ابن الأثير: ص: ٤٣.
- (٦) إحكام صنعة الكلام: الكلاعي، ص: ٢٤٩.
- (٧) أدب الكاتب: ص: ١٤.
- (٨) الحق: النافقة التي استحقت الحمل.
- (٩) رسالة الغفران: ص: ٤٨٠.
- (١٠) السابق: ص: ٤٢.
- (١١) طبقات الشعراء لابن المعتز: ص: ٢٠٢.
- (١٢) السابق، وخزانة الأدب، ٣٤٨/١.
- (١٣) الأغاني: ٢٣٢/٧.
- (١٤) السابق: ٢٣٦/٧.
- (١٥) الوساطة: ص: ٦٤.
- (١٦) انظر مثلاً عز الدين إسماعيل في «الأسس الجمالية في النقد العربي»، ص: ١٨١، ص: ١٨٢، ص: ١٨٥، ومحمود الربيعي في «نقد الشعر»، ص: ٦٥، وعبد الله الغدامي في «النقد الثقافي»، ص: ٩٨.
- (١٧) العقد الفريد: ٣٧/٦.
- (١٨) خزانة الأدب للبغدادي: ٤٠٨/٣، الأغاني: ١٦٣/٢.
- (١٩) الأغاني: ١٦٥/٢.
- (٢٠) شرح شواهد المغني للسيوطي: ٧٢١.
- (٢١) يتيمة الدهر للشعالبي: ٣٥١/١.
- (٢٢) الموشح للمرزباني: ص: ١٠٠.
- (٢٣) السابق.
- (٢٤) فحولة الشعراء للأصمعي، ص: ٣٧.
- (٢٥) الموشح، ص: ١٠٠.
- (٢٦) خزانة الأدب: ١٧٦/١.
- (٢٧) شرح شواهد المغني: ١٢٣/١.
- (٢٨) الأغاني: ٢٣٣/٤.
- (٢٩) خزانة الأدب: ١٨/٢.
- (٣٠) جمهرة أشعار العرب: ٢٠١/١.
- (٣١) الممتع في علم الشعر وعمله، لعبد الكريم النهشلي: ١٥٦.
- (٣٢) الأغاني: ٥/٨.
- (٣٣) الذخيرة لابن بسام: القسم الثاني: ص: ٥٥٦.
- (٣٤) الأغاني: ٣٠٥/٢٢، والشعر والشعراء: ٤٠٩.
- (٣٥) البلاس: ثوب من الشعر غليظ، وجمعه: بُلْس.
- (٣٦) كنز العمال: ٤٨٧/٢، وطبقات ابن سعد: ١٤٠/٤، والإصابة: ١٦٥/١٠.